مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد.

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وبعد:

لا شك أنّ العقيدة الصحيحة هى عمود هذا الدين وأساسه الذى يقوم عليه، فبدون صحة الاعتقاد يضيع إيمان العبد وتصبح أقواله وأعماله هباءً منثورًا، لا بركة فيها ولا ثواب عليها، ويكون الإنسان حينئذٍ كالريشة في مهب الريح لا قيمة ولا وزن لها، لا تبالى في أى طريق سارت، ضياع ما بعده ضياع، ويصدق فيه قول الحق سبحانه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

ولذلك حرص الرسول ﷺ أشد الحرص على أن يدعو إلى التوحيد الصادق ويأمر بتعليمه وتثبيته في القلوب، واقتلاع كل ما له صلة قريبة أو بعيدة بالشرك.

ولا زال العلماء يسلكون هذا السبيل، وينتهجون ذلك النهج القويم لتعليم الناس أصول التوحيد والابتعاد عن كل ما يتناقض معه من قصد أو قول أو عمل.

فما أعظم تمسك الأنبياء ومن بعدهم الصحابة والسلف الصالح بتوحيدهم لربهم وحرصهم على أن يكون نقيًا عن أى شرك، صافيًا من أى بدعة لأنهم يعلمون أن أفضل ما يلقى العبدُ به ربَّه هو قول: «لا إله إلا الله» مع تطبيق أركانها وشروطها وضرورة البعد عن كل ما يناقضها.

وإننا نجد هذا الكتاب الرائع «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد» من أفضل ما وضع لهذا الشأن، فهو يوضح لنا معنى التوحيد وأهميته وضرر الشرك وخطره، ثم يشرع في بيان أقسام الشرك وبيان أنواعه ومداخل هذا الشرك من ناحية الاعتقاد أو القول أو الفعل.

وقد جعل المؤلف -رحمه الله- ذلك مدخلاً لينفذ منه إلى بعض مظاهر الشرك التى تقع

في عصرنا هذا عن طريق الجهل والتقليد الأعمى والبعد الحقيقي عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مثل السحر وأنواعه والكهانة والعرافة وحكم ذلك في الإسلام، والغلو في أموات الصالحين ودعائهم والحلف بهم والذبح لهم والاستغاثة بهم مما يقدح فى التوحيد لله أَشَدَّ القدح بل يعمل على اقتلاعه بالكلية من قلب العبد.

وتناول المؤلف -رحمه الله- عقيدة المؤمن نحو ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، وهذا موضع زلّت فيه كثير من الأقدام وضلت فيه بعض الأفهام؛ لأنها اعتمدت في ذلك على فهمها القاصر ونظرها المحدود فضلاً عن التعصب الأعمى لحزب من الأحزاب أو فرقة من الفرق، ولو أنهم تجردوا للحق وأرجعوا ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتزموا طريق السلف الصالح لكان فيه سلامتهم من الضلال والانحراف عن سواء السبيل، فالخير كل الخير في العودة إلى ما كان عليه سلفنا الصالح إذا أردنا النجاة والفوز في الدنيا والآخرة.

وحرصًا منا على نشر ما فيه كل خير لجميع المسلمين فقد قمنا - بفضل الله تعالى- بالاعتناء بهذا الكتاب وإخراجه بالصورة اللائقة به فقمنا بتخريج الآيات الواردة في الكتاب وكتابتها برسم المصحف العثماني تحاشيًا لأي خطأ، وقمنا أيضًا بتخريج الأحاديث الشريفة وذلك بعزو الحديث إلى مصدره من كتب الأحاديث والسنن مع ذكر رقم الحديث ودرجته من حيث الصحة والضعف، وكذلك قمنا بترجمة الكثير من الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب، مع توضيح بعض المعاني للكلمات التى قد يتوقف أمامها القارئ، وأخيرًا قمنا بعمل مقدمة لبيان أهمية الكتاب والغرض من تأليفه، وعمل فهرس للموضوعات الواردة به.

ونسأل الله تعالى أن يهدينا لما فيه الخير والحق وأن يهدينا وأن ييسر لنا الهدى، وأن يعيننا على خدمة الإسلام والمسلمين ويجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه التكلان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، كالمبتدعة والمشركين، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقَيُّوم السموات والأرضين، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وخِيرتُه من خلقه أجمعين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن كتاب التوحيد الذى ألفه الإمام شيخ الإسلام: محمَّد بن عبد الوهَّاب [1] أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ولمن أجاب دعوتَه إلى يوم يقوم الحساب - قد جاء بديعًا فى معناه: من بيان التوحيد ببراهينه، وجمع جُملٍ من أدلته لإيضاحه وتبيينه؛ فصار علمًا للموحِّدين، وحجة على الملحدين. فانتفع به الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير.

فإن هذا الإمام رحمه الله فى مُبتدأ نشأته قد شرح الله صدره للحق المُبين، الذى بَعث الله به المرسلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما عليه الكثير من شرك المشركين.

فأعلى الله همَّته، وقوَّى عزيمته، فتصدى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد، الذى هو أساسُ الإسلام والإيمان، ونهاهم عن عبادة الأشجار والأحجار والقبور، والطواغيت

---

(١) هو: الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، شيخ الإسلام، ولد في العيينة بنجد سنة (١١١٥هـ)، من كبار العلماء المصلحين، قائد النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة، حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة، درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث. واعتنى بدراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله. له مؤلفات منها: مختصر الإنصاف، والشرح الكبير، كتاب التوحيد، الأصول الثلاثة وأدلتها، وغير ذلك. توفى رحمه الله سنة (١٢٠٦هـ) بالدرعية. انظر: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٥- ٤٧).

والأوثان، وعن الإيمان بالسَّحرة والمنجِّمين والكُهَّان.

فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة يدعو إليها كلُّ شيطان، وأقام الله به عَلَمَ الجهاد، وأدْحَض به شُبَه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودانَ بالإسلام أكثرُ أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد، وانتشرت دعوته ومؤلفاتُه في الآفاق، حتى أقر له بالفضل من كان من أهل الشقاق إلاّ من استحوذ عليه الشيطان، وكرّه إليه الإيمان، فأصرّ على العناد والطغيان.

وقد أصبح أهل جزيرة العرب بدعوته، كما قال قتادةُ [١] رحمه الله عن حال أول هذه الأمة: إن المسلمين لما قالوا: (لا إله إلا الله) أنكر ذلك المشركون، وكبرت عليهم، وضاق بها إبليس، وجنوده فأبى الله إلاَّ أنْ يُمضيها ويظهرها، وينصرها على من ناوأها، إنَّها كلمةٌ من خاصم بها فَلَج، ومن قاتل بها نُصر، إنما يعرفها أهلُ هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليالٍ قلائل، ويسير من الدهر في فئام من الناس، لا يعرفونها ولا يُقروُّن بها. وقد شرح الله صدورَ كثير من العلماء لدعوته، وسرُّوا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثرًا ونظمًا.

فمن ذلك ما قاله عالمُ صنعاء: محمد بن إسماعيل الأمير [٢] في هذا الشيخ رحمه الله تعالى شعرًا:

وقد جاءت الأخبارُ عنه بأنه ... يعيد لنا الشرعَ الشريف بما يُبدي
وينشر جهرًا ما طَوى كلُّ جاهل ... ومُبتدع منه فوافق ما عندي
ويَعمُر أركان الشريعة هادمًا ... مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سُواع ومثله ... يغوث وَودٍّ بئس ذلك من وَدِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتفُ المضطر بالصَّمد الفردِ
وكم عقروا في سُوحها من عَقيرةٍ [٣] ... أُهلَّت لغير الله جهرًا على عمد

---

(١) هو: قتادة بن دِعَامة أبو الخطاب السدوسي، تابعي جليل، إمام أهل البصرة في التفسير والحديث والفقه، ثقة ثبت، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك وخلق سواهما، وعنه أيوب وشعبة وأبو عوانة وغيرهم، توفى سنة (١٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٤٨).

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن محمد الأمير اليمني الكُحلاني المولد، الصنعاني النشأة والوفاة، ينتهي نسبه إلى الحسن ين علي رضي الله عنه، حافظ أصولي فقيه، ولد سنة (١٠٩٩هـ). له مؤلفات كثيرة، منها: سبل السلام، توضيح الأفكار، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، توفى سنة (١١٨٢هـ). انظر: البدر الطالع (٢/ ١٣٣).

(٣) يقال: عقر البعير يَعْقِر عَقْرًا: قطع إحدى قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه. وعقر الحيوان: أي ذبحه وفي القرآن: ﴿فَنَادَوْا فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

وكم طائفٍ حول القبور مقبِّل ومُستلم الأركان منهن بالأيدي

وقال شيخُنا عالم الإحساء أبو بكر حُسين بن غَنَّام [١] رحمه الله تعالى فيه:

لقد رفع المولى به رُتبة الهدى بوقت به يُعلى الضلالُ ويرفعُ
سقاه نميرَ الفهم مولاه فارتوى وعام بتيّار المعارف يقطعُ
فأحيا به التوحيدَ بعد اندراسه وأوهى به من مطلع الشرك مهيع [٢]
سما ذِرْوة المجد التى ما ارتقى لها سواه ولا حاذَى فناها سميدع [٣]
وشمر فى منهاج سُنّة أحمد يُشيد ويحيي ما تعفّى ويرفع
يُناظر بالآيات والسُّنة التى أُمرنا إليها فى التنازع نرجع
فأضحت به السمحاءُ [٤] يبسم ثَغرها وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهجُ الغواية طامسًا وقد كان مسلوكًا به الناس ترتع [٥]
وجرّت به نجدٌ ذبول افتخارها وحُقّ لها بالألمعيِّ [٦] ترفّع
فآثاره فيها سوامٍ سوافر وأنواره فيها تضيء وتلمع

وأما كتابه المذكور فموضوعه فى بيان ما بعث به الله رسله: من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكْرِ ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه.

وقد تصدَّى لشرحه حفيد المصنِّف، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله [٧] رحمه الله

---

(١) هو: حسين بن غنام الإحسائى الحنبلي، مفتي الإحساء، من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مؤرخ أديب، نحوي، استقدمه الإمام محمد بن سعود من الإحساء ليعلم أبناء الدعوة النحو، فقرأ عليه من كان في الدرعية من طلبة العلم. من تصانيفه: تاريخ نجد، العقد الثمين في شرح أصول الدين، تعدد غزوات ذوي الإسلام. توفي سنة (١٢٢٥هـ). انظر: عنوان المجد (١/ ٣١١).

(٢) المهيع: الطريق الواسع الواضح. انظر: لسان العرب (٨/ ٣٧٩).

(٣) السَّمَيدع: الكريم الشريف السخي الشجاع. وانظر: لسان العرب (٨/ ١٦٨).

(٤) السحماء: أي السوداء. فكل أسود أسحم. وانظر لسان العرب (١٢/ ٢٨١).

(٥) أي: تسير بشدة.

(٦) الألمعي: الذكي المتوقد، أو هو الرجل الذي يظن الظن فلا يكاد يكذب. انظر: مختار الصحاح ص (٢٥٢)، لسان العرب (١/ ٣٢٤).

(٧) هو: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة (١٢٠٠هـ) كان عالمًا فاضلا بارعًا في الحديث والفقه والتفسير، آمرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر، صادق الاتصال بالله. قتل رحمه الله في ريعان شبابه في آخر سنة (١٢٣٣هـ) وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، بعد دخوله

تعالى فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد، وسماه (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد).

وحيث أطلق: شيخ الإسلام فالمراد به: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، والحافظ فالمراد به: أحمد بن حجر العسقلاني.

ولما قرأتُ شرحه رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يُستغنى بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله.

فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعضَ النقول المستحسنة تتميمًا للفائدة وسمّيتُه: «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

والله أسأل أن ينفع به كلَّ طالب للعلم ومُستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وموصلاً مَنْ سعى فيه إلى جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم).

ش: ابتدأ كتابَهُ بالبسملة؛ اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بحديث **«كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»** [١].

أخرجه ابن حبان من طريقين. قال ابن الصلاح: والحديث حسن. ولأبي دواد وابن ماجه **«كلُّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله -أو بالحمد- فهو أقطع»** [٢] ولأحمد **«كلُّ أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر -أو أقطع-»** [٣] وللدارقطني عن أبي هريرة مرفوعًا **«كلُّ**

الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة للشيخ، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يرموه بالرصاص جميعًا فمزقوا جسمه رحمه الله. وانظر: عنوان المجد (١/ ٢١٠).

(١) أخرجه الخطيب في الجامع (٢/ ٦٩)، حديث (١٢١٠)، والسمعاني في أدب الإملاء ص (٥١) من حديث أبي هريرة وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى عبد القادر الرهاوي في الأربعين وفي إسناده أحمد بن محمد بن عمران ضعفه الخطيب، واتهمه ابن الجوزي بالوضع،، وانظر ضعيف الجامع (٤٢١٧)، الإرواء (١).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، حديث (٤٨٤٠)، وابن ماجه، حديث (١٨٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٩)، حديث (٢٦٦٨٣)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٤)، حديث (٢) من حديث أبي هريرة، وهو ضعيف وانظر الإرواء (٢، ٣)، ضعيف الجامع (٤٢٤٥)، ضعيف الترغيب (٩٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩)، حديث (٨٦٩٧)، وفي إسناده قرة بن عبد الرحمن وفيه ضعف من قِبَل حفظه. وانظر الحديث الآتي.

أمر ذي بال [١] لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع» [٢] .

والمصنف قد اقتصر فى بعض نسخه على البسملة ؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر ، وللحديث المتقدم .

وكان النبئ ﷺ يقتصر عليها فى مراسلاته ، كما فى كتابه لِهرقْلَ عظيم الروم [٣] ، ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة ، وثنَّى بالحمد والصلاة على النبى ﷺ وآله .

وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقي ، وبالحمدلة نسبيٌّ إضافي ، أى بالنسبة إلى ما بعد الحمد يكون مبدوءًا به .

والباء فى (بسم الله) متعلقة بمحذوف ، واختار كثير من المتأخرين كونه فعلاً خاصًا متأخرًا .

أما كونه فعلاً ، فلأن الأصل فى العمل للأفعال .

وأما كونه خاصًا ، فلأن كل مبتدئ بالبسملة فى أمر يُضمرُ ما جعل البسملة مَبدأ له ، وأما كونه متأخرًا ، فلدلالته على الاختصاص ، وأدخل فى التعظيم ، وأوفق للوجود ، ولأن أهم ما يُبدأ به ذِكْر الله تعالى .

وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى لحذف العامل فوائد :

منها : أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله .

ومنها : أن الفعل إذا حُذف صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة ؛ فكان الحذف أعم . انتهى ملخصًا .

وباء (بسم الله) للمصاحبة . وقيل : للاستعانة . فيكون التقدير : بسم الله أؤلف حال

---

(١) ذي بال : أي شريف يُحتفل له ويُهتم به . النهاية (١/ ١٦٤) .

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٢٢٩)، حديث (٢) وقال : -تفرد به قرة عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأرسله غيره عن الزهرى عن النبيﷺ ، وقرة ليس بقوى في الحديث . . . والمرسل هو الصواب- وقال الألباني في الإرواء (٢) : -ومما يدلك على ضعفه - زيادة على ما تقدم اضطرابه في متن الحديث، فهو تارة يقول : أقطع، وتارة : أبتر، وتارة : أجذم، وتارة بذكر الحمد، وأخرى يقول : بذكر الله- .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب : بدء الوحي، باب : بدء الوحي، حديث (٧)، ومسلم، كتاب : الجهاد والسير، باب : كتاب النبيﷺ إلى هرقل، حديث (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس وفيه : - . . . بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدي . . . - الحديث .

كوني مستعينًا بذكره، متبركًا به.

وأما ظهوره في ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] وفي ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾[هود: ٤١] فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى.

والاسم: مشتق من السمو، وهو العلو. وقيل: من الوَسْم وهو العلامة؛ لأن كل ما سُمي فقد نُوِّه باسمه ووُسِم.

قوله: (الله) قال الكِسائي [(١)] والفراء [(٢)]: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدة مشددة مفخمة.

قال ابن القيم رحمه الله [(٣)]: الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى.

والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دالٌّ على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريبٍ، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولُّد الفرع من أصله.

وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلاً وفرعًا، ليس معناه أن أحدهما متولِّد من

---

(١) هو: علي بن حمزة إمام النحاة الكوفيين، أحد القراء العشرة، ويكنى أبا الحسن، وقيل له «الكسائي» من أجل أنه أحرم في كساء، له عدة تصانيف، منها: معاني القرآن، القراءات، والنوادر الكبير، ومختصر في النحو وغير ذلك. توفي بـ «رنبوية» قرية من قرى الري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة (١٨٩هـ). وانظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١-١٣٤).

(٢) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي: أديب، نحوي، لغوي، مشارك في الفقه، والطب وأيام العرب وأشعارها، والنجوم، ولد بالكوفة سنة (١٤٤هـ)، وانتقل لإلى بغداد وصحب الكسائي، وأدب ابني المأمون العباسي، وصنف للمأمون كتاب الحدود في النحو، واجتمع لإملائه خلق كثير منهم ثمانون قاضيًا. من كتبة: المصادر في القرآن، آلة الكتاب، الوقف والابتداء، المقصور والممدود، توفي في طريق مكة سنة (٢٠٧هـ).

(٣) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي اشتهر بابن قيم؛ لأن أباه كان في دمشق قيمًا على مدرسة «الجوزية»، كان أحد أبرز أصحاب وتلاميذ الإمام المجدد تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله، وقد لازمه زهاء أربعين سنة. كان بارعًا في عدة علوم ما بين تفسير وفقه وعربية ونحو وحديث وأصول وفروع. وله مؤلفات كثيرة منها: زاد المعاد، إعلام الموقعين، أحكام أهل الذمة، مدارج السالكين، بدائع الفوائد، وغيرها كثير. توفي رحمه الله سنة (٧٥١هـ)، وبه كمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى.

الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

قال أبو جعفر بن جرير [١]: الله أصله الإله، أُسقطت الهمزة التى هى فاء الاسم. فالتقت اللام التى هى عين الاسم واللام الزائدة وهى ساكنة فأدغمت فى الأخرى، فصارتا فى اللفظ لامًا واحدة مشددة. انتهى.

وقال: وأما تأويل الله فإنه على معنى ما رُوي لنا عن عبد الله بن عباس قال: هو الذى يألهه كل شيء ويعبده كل خَلْق.

وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هى العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلاً فى فعِل ويفعَل؟

قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم وذكر بيت رؤية بن العجاج

لله دَرُّ الغانيات المُدّهِ سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنَ تَأَلُّهي

يعنى: من تعبدي وطلبي الله بعملي.

ولا شك أن التأله التفعل، من أَلِه يألَه. وقد جاء منه مصدر، ويدل على أن العرب قد نطقت منه بفعِل يفعَل بغير زيادة.

وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع - وساق السند إلى ابن عباس **«أنه قرأ** ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتك. ويقول: إنه كان يُعبد ولا يَعبد».

وساق بسند آخر عن ابن عباس **«ويذرك وإلاهتك»**. قال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد. وذكر مثله عن مجاهد.

ثم قال: فقد بيَّن قولُ ابن عباس ومجاهد هذا: أن أَلِه عبد وأن الإلاهة مصدره وساق حديثًا عن أبى سعيد مرفوعًا: **«أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتّاب ليعلّمه. فقال له المعلم: اكتب بسم الله. فقال عيسى: أتدري ما الله؟ الله إله الآلهة»** [٢].

---

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، ولد في آمل طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، واستوطن بغداد. وهو الإمام الجليل المجتهد المطلق بعد أن كان شافعي المذهب. كان عالمًا فذًا كثير الرواية ذا بصيرة بالنقل والترجيح بين الروايات، وله باع طويل في تاريخ الرجال وأخبار الأمم. له عدة مصنفات أشهرها: جامع البيان في تفسير القرآن، تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم، البسيط في الفقه، الجامع في القراءات. توفى سنة (٣١٠هـ)، انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٤)، وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية وسائها. ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال: أعلم الخلق به ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1] وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل إجلال وكل كمال، وكل عزٍّ وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر فله ومنه.

فما ذُكر هذا الاسم في قليل إلا كثّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضُرَّه، ولا شريد إلا آواه.

فهو الاسم الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتُستدفع به السيئات، وتُستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به السموات والأرض، وبه أُنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع. وبه قامت الحدود، وبه شُرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقَّت الحاقة. ووقعت الواقعة. وبه وُضعت الموازين القسط ونُصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار. وبه عُبد رب العالمين وحُمد، وبحقِّه بُعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سَعِد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سرُّ الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا.

فالخلق به وإليه ولأجله. فما وجد خلقٌ ولا أمر، ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتديًا منه ومنتهيًا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

قوله: (الرحمن الرحيم) قال ابن جرير: حدثني السَّري بن يحيى حدثنا عثمان بن زُفَر سمعت العرزمي يقول: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، حديث (٤٨٦)، وأبو داود، حديث (٨٧٩)، والترمذي، حديث (٣٤٩٣)، والنسائي، حديث (١١٠٠)، وابن ماجه، حديث (٣٨٤١).

وساق بسنده عن أبي سعيد - يعنى الخدري - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عيسى ابن مريم قال: الرحمن: رحمن الآخرة والدنيا. والرحيم: رحيم الآخرة**»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: واسمه: الله تعالى دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، يألهه الخلائق: محبة وتعظيمًا وخضوعًا، ومفزعًا إليه فى الحوائج والنوائب.

وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنتين لكمال المُلك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته، وملكه مستلزم لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم فى أقواله وأفعاله.

فصفات الجلال والجمال أخص باسم «الله»، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة: أخص باسم «الرب».

وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة والعطف أخص باسم «الرحمن».

وقال رحمه الله أيضًا:

الرحمن: دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم: دال على تعلقها بالمرحوم. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُم بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجئ قط رحمان بهم.

وقال: إن أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه.

فمن حيث هو صفة جرى تابعًا لاسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورد الاسم العَلَم، كقوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] انتهى ملخصًا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (الحمد لله).

ش: ومعناه الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على وجه التعظيم.

فمورده: اللسان والقلب، والشكر: يكون باللسان والجَنان والأركان.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٥٦)، وفي إسناده إسماعيل بن يحيى التيمي وهو ضعيف جدًا واتهمه بعضهم بالكذب.

فهو أعم من الحمد متعلَّقًا، وأخص منه سببًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة.

والحمد: أعم سببًا وأخص متعلَّقًا؛ لأنه يكون فى مقابلة النعمة وغيرها.

فبينهما عموم وخصوص وجهى: يجتمعان فى مادة، وينفرد كل واحد عن الآخر فى مادة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وصلى الله على محمد وعلى آله وسلَّم).

ش: أصحُّ ما قيل فى معنى صلاة الله على عبده: ما ذكره البخاريُّ رحمه الله تعالى عن أبى العالية قال: «**صلاة الله على عبده: ثناؤه عليه عند الملائكة**».

وقرره ابن القيم رحمه الله تعالى ونصره فى كتابيه «**جلاء الأفهام**» و«**بدائع الفوائد**».

قلت: وقد يُراد بها الدعاء، كما فى (المسند) عن عليٍّ مرفوعًا «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام فى مصلاه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»[1].

قوله: (وعلى آله) أى أتباعه على دينه، نص عليه الإمام أحمد هنا.

وعليه أكثر الأصحاب، وعلى هذا: فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (كتاب التوحيد).

ش: كتاب: مصدر كتب يكتب كتابًا وكتابة وكَتْبًا، ومدار المادة على الجمع. ومنه: تكتّب بنو فلان، إذا اجتمعوا. والكتيبة: لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف. وسُمى الكتاب كتابًا؛ لجمعه ما وُضع له.

والتوحيد نوعان: توحيد فى المعرفة والإثبات. وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد فى الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما التوحيد الذى دعت إليه الرسلُ، ونزلت به الكتب فهو نوعان: توحيد فى المعرفة والإثبات، وتوحيد فى الطلب والقصد:

فالأول هو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلُّمه بكتبه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٤٤)، حديث (١٢١٨) وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٦): «رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكن اختلط في آخر عمره». وانظر ضعيف الترغيب (٢٣٩). وقد صح من حديث أبي هريرة عند البخاري، كتاب الصلاة، باب: الحدث فى المسجد، حديث (٤٤٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب: فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، حديث (٦٤٩) بلفظ: «والملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث: تقول: اللهم اغفر له...» الحديث.

وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جِدَّ الإفصاح، كما في أول سورة «الحديد»، وسورة «طه»، وآخر «الحشر»، وأول تنزيل السجدة، وأول «آل عمران»، وسورة «الإخلاص» بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة «قل يا أيها الكافرون» وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأوَّلُ سورة «تنزيل الكتاب»، وآخرها. وأول سورة «المؤمن» ووسطها وآخرها.

وأول سورة «الأعراف» وآخرها. وجملة سورة «الأنعام»، وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به داعية إليه:

فإن القران: إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلميّ الخبريّ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإراديُّ الطلبي.

وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكمِّلاته.

وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يَحُلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء مَنْ خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهى.

قال شيخ الإسلام [1]: التوحيدُ الذي جاءت به الرسلُ إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو، لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله.

---

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، الدمشقي أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، المجتهد المطلق محدث، حافظ، مفسر، فقيه، مجتهد، مشارك في أنواع العلوم، ولد بحران سنة (٦٦١هـ)، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير. حدّث بدمشق ومصر، والثغر، وقد امتحن وأوذي، وحبس بقلعة القاهرة، والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين. له مصنفات كثيرة منها: مجموع الفتاوى، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الاستقامة، منهاج السنة النبوية. وغيرها كثير. توفي رحمه الله سنة (٧٢٨هـ).

وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] وهذا في القرآن كثير.

وليس المرادُ بالتوحيد: مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد.

فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة. ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له. والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة. وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع. فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد - كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية. وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن [1] وأتباعه - لم يعرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ؛ فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء. وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قالت طائفة من السلف: تسألهم: من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله وهم مع

---

(١) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري، اليماني، البصري، تنسب إليه الطائفة الأشعرية، كان متكلمًا ثم حسن معتقده، وترك مذهبة القديم. ولد بالبصرة، وسكن بغداد. له مصنفات منها: الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة، الرد على المجسمة، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. توفي سنة (٣٣٠هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٢٦٣).

هذا يعبدون غيره.

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٨] فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدًا له، دون ما سواه. داعيًا له دون ما سواه راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه. يوالي فيه ويعادي فيه. ويطيع رُسله ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهى عنه.

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أندادًا. قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٣-٤٤] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[الانعام:٩٤] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها. ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك! إنما الشرك إذا اعتقدتُ أنها المدبرة لي! فإذا جعلتُها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا!!

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقولِ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]).

ش: [وقولِ] بالجر عطف على التوحيد، ويجوز الرفع على الابتداء.

قال شيخ الإسلام: العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل.

وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال ابن القيم: ومدارها على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمَّل مراتب العبودية.

وبيان ذلك: أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح. والأحكام التي

للعبودية خمسة: واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح، وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

قال القرطبي [١]: أصل العبادة: التذلل، والخضوع.

وسُميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى. ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم.

قلت: وهي الحكمة الشرعية الدينية.

قال العماد ابن كثير: وعبادته: هى طاعته بفعل المأمور وترك المحظور. وذلك هو حقيقة دين الاسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع. انتهى.

وقال أيضًا فى تفسير هذه الاية: ومعنى الآية: أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له. فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذّبه أشد العذاب. وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم وهو خالقهم ورازقهم.

وقال علي بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية: إلا لآمرهم أن يعبدونى وأدعوهم إلى عبادتى. وقال مجاهد: إلا لآمرهم وأنهاهم. اختاره الزجاج [٢] وشيخ الإسلام.

قال: ويدل على هذا قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] قال الشافعى: لا يؤمر ولا ينهى؟!.

وقال فى القرآن فى غير موضع: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] فقد أمرهم بما خلقوا له. وأرسل الرسل بذلك. وهذا المعنى هو الذى قُصد بالآية قطعًا، وهو الذى يفهمه جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه.

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، عالم فذ من علماء المالكية، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان، وتفسيره المسمى: بجامع أحكام القرآن من أجل الكتب، وقد اختصره سراج الدين ابن الملقن قال الذهبي: إمام متقن متبحر في العلم. له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله. ومن كتبه أيضًا: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. توفى سنة (٦٧١هـ).

(٢) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري بن سهل الزجاج النحوي. كان عالمًا أديبًا، صنف كتاب معاني القرآن، وله أيضًا كتاب الإنسان وأعضائه، الفرس، العروض، وكتاب الاشتقاق، والنوادر وغيرها. روى عن مبرد وثعلب وغيرهما. توفي ببغداد سنة (٣١١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠).

قال: وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤] ثم قد يطاع وقد يعصى، وكذلك ما خلقهم إلا لعبادته، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون.

وهو سبحانه لم يقل: إنه فعل الأول وهو خلْقهم ليفعل بهم كلُّهم الثانى وهو عبادته ولكن ذكر أنه فعل الأول ليفعلوا هم الثانى؛ فيكونوا هم الفاعلين له؛ فيحصل لهم بفعله سعادتهم ويحصل ما يحبه ويرضاه منه ولهم. انتهى.

ويشهد لهذا المعنى: ما تواترت به الأحاديث:

فمنها: ما أخرجه مسلم فى (صحيحه) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها ومثلها معها أكنت مفتديًا بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك ما أهون من هذا وأنت فى صلب آدم: أن لا تشرك بي - أحسبه قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك**»[(١)].

فهذا المشرك قد خالف ما أراده الله تعالى منه: من توحيده وأن لا يشرك به شيئًا، فخالف ما أراده الله منه فأشرك به غيره. وهذه هى الإرادة الشرعية الدينية كما تقدم.

فبين الإرادة الشرعية الدينية، والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية فى حق العاصى. فافهم ذلك تنجُ من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]).

ش: الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان.

وقال جابر رضى الله عنه: الطواغيت: كهان كانت تنزل عليهم الشياطين. رواهما ابن أبى حاتم.

وقال مالك: الطاغوت: كل ما عُبد من دون الله.

قال العمادُ ابن كثير: الطاغوت: الشيطان، وما زيَّنه من عبادة غير الله.

قلت: وذلك المذكور بعض أفراده، وقد حده العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى حدًّا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٥٧)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا، حديث (٢٨٠٥).

جامعًا فقال: الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده: من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيت العالم. إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت وعن طاعة الله ورسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته.

وأما معنى الآية: فأخبر تعالى أنه بعث فى كل طائفة من الناس رسولاً بهذه الكلمة ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهذا معنى: لا إله إلا الله فإنها هي العروة الوثقى.

قال العماد ابن كثير [(١)] فى هذه الآية: وكلهم - أى الرسل - يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه، فلم يزل سبحانه وتعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك فى قوم نوح الذين أرسل إليهم، وكان أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ، الذى طبقت دعوته الإنس والجن فى المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء»؟!!

فمشيئة الله تعالى الشرعية عنهم منفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على ألسن رسله، وأما مشيئته الكونية - وهى تمكينهم من ذلك قدرًا - فلا حجة لهم فيها؛ لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر.

وله فى ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة، ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة

---

(١) هو: الإمام عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير قرشي النسب، دمشقي الدار، كان إمامًا جليلا حافظًا وكان مفسرًا ومؤرخًا معروفًا. أخذ عن ابن تيمية، واتبعه في كثير من آرائه. وشهد له العلماء بغزارة علمه في التفسير والحديث والتاريخ، وكتابه في التاريخ «البداية والنهاية» مرجع أصيل للتاريخ الإسلامي وكذلك كتابه في التفسير «تفسير القرآن العظيم» من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور، ويأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب ابن جرير. توفي رحمه الله سنة (٧٧٤هـ).

في الدنيا بعد إنذار الرسل، فلهذا قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] انتهى.

قلت: وهذه الآية تفسر الآية التي قبلها. وذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] فتدبر!

ودلت هذه الآية على أن الحكمة في ارسال الرسل: دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شريعتهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وأنه لا بد في الإيمان من عمل القلب والجوارح.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]).

ش: قال مجاهد: قضى: يعني: وصى، وكذا قرأ أُبيّ بن كعب وابن مسعود وغيرهم.

ولابن جرير عن ابن عباس: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني: أمر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] المعنى، أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: والنفي المحض ليس توحيدًا، وكذلك لإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له. كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: لا تُسمعهما قولاً سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: لا يصدر منك إليهما فعلٌ قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يديك على والديك.

ولما نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح أمره بالفعل الحسن والقول الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي لينًا طيبًا بأدب وتوقير. وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] أي: تواضعْ لهما.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤] أي: في كبرهما وعند وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة.

منها: الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن رسول الله ﷺ لما صعد المنبر قال: «آمين، آمين، آمين» فقالوا: يا رسول الله، على ما أمنت؟ قال: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف امرئ ذكرتَ عنده فلم يصل عليك قل: آمين، فقلت: آمين ثم قال: رغم أنف امرئ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له، قل: آمين فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل: آمين، فقلت: آمين**»[(١)].

وروى الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف رجل أدرك والديه، أو أحدهما ولم يدخل الجنة**»[(٢)] قال العماد ابن كثير: صحيح من هذا الوجه.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(٣)]. رواه البخاري ومسلم، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين**»[(٤)] رواه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم.

وعن أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاء

---

(١) حديث أنس ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٦)، وقال: -رواه البزار، وفيه سلمة بن وردان وهو ضعيف، وقد قال فيه البزار: صالح. وبقية رجاله رجال الصحيح-. وأخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب: قول رسول الله ﷺ: -رغم أنف رجل-، حديث (٣٥٤٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٤)، حديث (٧٤٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٩)، حديث (٩٠٨) من حديث أبي هريرة. والحديث صحيح بطرقه وشواهده. وانظر صحيح الجامع (٧٥)، صحيح الترغيب (٩٩٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، حديث (٢٥٥١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٦)، حديث (٨٥٣٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، حديث (٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، حديث (٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، حديث (١٨٩٩)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٧٢)، حديث (٤٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٨)، حديث (٧٢٤٩). وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٥٠٦)، صحيح الترغيب (٢٥٠١).

رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: «**نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**»[1]. رواه أبو داود وابن ماجه.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦]).

ش: قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية: يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق، المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته. انتهى.

وهذه الآية هي التي تسمى آية الحقوق العشرة، وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الآية على آية الأنعام، ولهذا قدمتُها لمناسبة كلام ابن مسعود الآتي لآية الأنعام؛ ليكون ذكره بعدها أنسب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥١-١٥٣]).

ش: قال العماد ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرموا ما رزقهم الله ﴿تَعَالَوْا﴾ أي هلموا وأقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[الأنعام:١٥١] أي: أقص عليكم ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[الأنعام:١٥١] حقًّا، لا تخرصًا ولا ظنًّا، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] وكأن في الكلام محذوفًا دل عليه السياق تقديره: وصاكم ألا تشركوا به شيئًا، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾[الأنعام:١٥١] انتهى.

قلت: فيكون المعنى: حرم عليكم ما وصاكم بتركه من الإشراك به.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في بر الوالدين، حديث (٥١٤٢)، وابن ماجه، حديث (٣٦٦٤)، تفرد به علي بن عبيد الأنصار قال عنه الذهبي: -لا يعرف وحديثه في بر الوالدين بعد موتهما- وانظر ضعيف الترغيب (١٤٨٢)، والمشكاة (٤٩٣٦).

وفي (المغني) لابن هشام في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ سبعة أقوال، أحسنها: هذا الذي ذكره ابن كثير، ويليه: أبين لكم ذلك لئلا تشركوا، فحذفت الجملة من أحدهما، وهي ﴿وَصَّىٰكُمْ﴾ وحرف الجر وما قبله من الأخرى.

ولهذا إذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله ﷺ قالوا: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم. كما قال أبو سفيان لهرقل [١] وهذا هو الذي فهمه أبو سفيان وغيره من قول رسول الله ﷺ لهم «**قولوا: لا اله إلا الله تفلحوا**» [٢].

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الأنعام: ١٥١] قال القرطبي: الإحسان إلى الوالدين: برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أمرهما، وإزالة الرق عنهما، وترك السلطنة عليهما، و﴿إِحْسَانًا﴾[الأنعام: ١٥١] نصب على المصدرية، وناصبه فعل من لفظه تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام: ١٥١] الإملاق: الفقر، أي: لا تئدوا بناتكم خشية العَيْلة والفقر، فإني رازقكم وإياهم، وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث وبالذكور خشية الفقر. ذكره القرطبي، وفي (الصحيحين) عن ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أن تزاني بحليلة جارك**». ثم تلا رسول الله ﷺ «﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[الفرقان: ٦٨]» [٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأنعام: ١٥١] قال ابن عطية [٤]:

---

(١) تقدم تخريج حديث هرقل، وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٨٢)، حديث (١٥٩)، والدارقطني في سننه (٣/ ٤٤)، حديث (١٨٦)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥١٧)، حديث (٦٥٦٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٨)، حديث (٤٢١٩)، من حديث طارق المحاربي، وهو صحيح، وانظر دفاع عن الحديث النبوي ص (٢٠-٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، حديث (٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، حديث (٨٦).

(٤) هو: الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، من أعيان المالكية، كان إمامًا في الفقه والتفسير والعربية، قوي المشاركة ذكيًّا فطنا مدركًا من أوعية العلم. وكتابه في التفسير يسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» توفي رحمه الله سنة

نهي عام عن جميع أنواع الفواحش، وهى المعاصى. و﴿ظَهَرَ﴾ [الأنعام:١٥١] و﴿بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١] حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء. انتهى.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١] فى الصحيحين: عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» (١).

قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام:١٥١] قال ابن عطية: (ذلكم) إشارة إلى هذه المحرمات والوصية: الأمر المؤكد المقرر.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] (لعل) للتعليل أى: إن الله تعالى وصانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه ونعمل بها، وفى تفسير الطبري الحنفي: ذكر أولاً (تعقلون) ثم (تذكرون) ثم (تتقون) لأنهم إذا عقلوا تذكروا فإذا تذكروا خافوا واتقوا.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابن عطية: هذا نهى عام عن القرب الذى يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعة، ثم استثنى ما يحسنُ وهو السعى فى نمائه، قال مجاهد: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: التجارة فيه.

قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام:١٥٢] قال مالك (٢) وغيره: هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ، روي نحو هذا عن زيد بن أسلم (٣) والشعبى (٤) وربيعة (٥) وغيرهم.

(٥٤١هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧ - ٥٨٨).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ [المائدة:٤٥] الآية، حديث (٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ما يباح به دم المسلم، حديث (١٦٧٦).

(٢) هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، إليه نسب المالكية. ولد في المدينة سنة (٩٣هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩هـ) وأشهر مصنفاته: الموطأ.

(٣) هو: الإمام الحجة القدوة أبو أسامة- ويقال: أبو عبد الله- زيد بن أسلم العدوي العمري المدني الفقيه. مولى عمر بن الخطاب كان ثقة من أهل الفقه والعلم، عالم بتفسير القرآن وله كتاب في التفسير. توفى سنة (١٣٦هـ)، انظر: طبقات الحفاظ (١/ ٦٠).

(٤) هو: عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي، الحميري، راوية من التابعين، أدرك خمسمائة من الصحابة، وهو من رجال الحديث الثقات، ولد بالكوفة سنة (١٩هـ) وتوفى بها سنة (١٠٣هـ). انظر: طبقات الحفاظ (١/ ٤٠).

(٥) هو: ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء، أبو عثمان المدني، المعروف بربيعة الرأي: إمام حافظ فقيه مجتهد

قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابن كثير: يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] أي: من اجتهد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام:١٥٢] هذا أمر بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد.

قال الحنفي: العدل في القول في حق الولي والعدو ولا يتغير في الرضى والغضب بل يكون على الحق وإن كان ذا قربى فلا يميل إلى الحبيب والقريب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

قوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابن جرير: وبوصية الله تعالى التي وصاكم بها فأوفوا. انقادوا لذلك بأن تطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وتعلموا بكتابه وسنة رسوله ﷺ وذلك هو الوفاء بعهد الله. وكذا قال غيره.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢] أي: تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه.

قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣] قال القرطبي: هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم. فإنه لما نهى وأمر، حذر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف. و(أن) في موضع نصب. أي: أتلو أن هذا صراطي، عن الفراء والكسائي. قال الفراء: ويجوز أن يكون خفضًا. أي وصاكم به وبأن هذا صراطي.

قال: والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نصب على الحال ومعناه مستويًا قويمًا لا اعوجاج فيه.

فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادّة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣] أي: تميل. انتهى.

وروى أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم - وصححه - ورواه محمد بن نصر المروزيّ في كتاب «الاعتصام» بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط

ثقة، كان بصيرًا بالرأي. فلقب: «ربيعة الرأي» وكان مفتي المدينة. توفي سنة (١٣٦هـ) بالمدينة. انظر: طبقات الفقهاء ص (٥٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا»، ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «وهذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: « ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية»[(١)].

وعن مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، قال: البدع والشهوات.

قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى: ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزًا؛ فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلَّقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يشرك به أحدًا في عبوديته ولا يشرك برسوله ﷺ أحدًا في طاعته. فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول ﷺ.

وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله فأي شيء فسر به الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الأصلين.

ونكتة ذلك: أن تحبه بقلبك وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمورًا بحبه، ولا يكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته.

فالأول: يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: يحصل بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله.

وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسوله والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التى هذا آخيتها[(٢)] وقطب رحاها.

قال: وقال سهل بن عبد الله[(٣)]: عليكم بالأثر والسنة، فإنى أخاف أنه سيأتي عن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٦٥)، حديث (٤٤٣٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٣)، حديث (١١١٧٤)، والدارمي في سننه (١/ ٧٨)، حديث (٢٠٢)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠)، حديث (٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦١)، حديث (٢٩٣٨)، وهو صحيح، وانظر تخريج الطحاوية للألباني ص (٥٨٧).

(٢) الآخِيَّة - بالمد والتشديد- حُبَيْل أو عُويد يُعرض في الحائط ويُدفن طرفاه فيه، ويصير وسطه كالعروة وتشد فيها الدابة. وجمعها أواخى. انظر: النهاية (١/ ٢٩).

(٣) هو: سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التُّستري من كبار الصوفية. أثنى عليه ابن تيمية رحمه الله. له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق، من كتبه: دقائق المحبين، مواعظ العارفين، جوابات أهل اليقين. توفي سنة (٢٨٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٨).

قليل زمان إذا ذكر إنسان النبى ﷺ والاقتداء به فى جميع أحواله، ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه، وأذلوه وأهانوه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التى عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] - إلى قوله - ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية).

ش: قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلى أبو عبد الرحمن، صحابي جليل من السابقين الأولين، ومن أهل بدر وأُحُد والخندق وبيعة الرضوان ومن كبار علماء الصحابة، أمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه.

وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه، وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى بنحوه.

وسببُ هذا القول والله أعلم: ما رواه البخاريُّ في (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: **«ائتوني بكتاب أكتُبْ لكم كتبًا لا تختلفوا بعده»** قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غَلَبَه الوجع! وعندنا كتابُ الله حَسْبُنا. فاختلفوا، وكثُرَ اللَّغط، قال: **«قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التَّنازع»** فخرج ابنُ عباسٍ يقول: إنَّ الرَّزيَّة كلَّ الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه [(١)]. فقال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه... الحديث.

قال بعضهم: معناه: من أراد أن ينظر إلى الوصية التى كأنها كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات.

شبهها بالكتاب الذى كتب ثم ختم فلم يزد فيه ولم ينقص. فإن النبى ﷺ لم يوص إلا بكتاب الله تعالى.

كما قال فيما رواه مسلم: **«وإني تاركٌ فيكم ما إن مسَّكتم به لن تضلُّوا: كتاب الله»** [(٢)].

وقد روى عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث؟»** ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، حديث (١١٤)، ومسلم، كتاب: الوصية، باب: ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، حديث (١٦٣٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، حديث (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله.

حتى فرغ من الثلاث الآيات. ثم قال: **«من وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله به فى الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه»** [(١)]. رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه ومحمد بن نصر فى **«الاعتصام»**.

قلت: ولأن النبي ﷺ لم يوص أمته إلا بما وصاهم به الله تعالى: على لسانه وفى كتابه الذى أنزله ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وهذه الآيات وصية الله تعالى ووصية رسوله ﷺ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبى ﷺ على حمار فقال لى: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»** [(٢)]. **أخرجاه فى الصحيحين)**.

ش: هذا الحديث فى الصحيحين من طرق. وفى بعض رواياته نحو مما ذكره المصنف.

ومعاذ: هو ابن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن صحابي مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها. وكان إليه المنتهى فى العلم والأحكام والقرآن رضي الله عنه.

وقال النبى ﷺ: **«معاذ يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة»** [(٣)] أي: بخطوة، قال فى **«القاموس»**: والرتوة: الخطوة وشرف من الأرض، وسويعة من الزمان، والدعوة، والقطرة، ورمية بسهم أو نحو ميل أو مدى البصر. والراتي: العالم الربانى. انتهى.

وقال فى «النهاية»: إنه يتقدم العلماء برتوة أي: برمية سهم. وقيل: بميل وقيل: مدى

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٨)، حديث (٣٢٤٠)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٥)، حديث (٦٦٠) كلاهما من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت به. وفيه سفيان بن حسين وهو إن كان ثقة إلا أنه ضعيف في الزهري.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: اسم الفرس والحمار، حديث (٢٨٥٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، حديث (٣٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩)، حديث (٤١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٩) عن محمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ مرسلاً.

البصر. وهذه الثلاثة أشبه بمعنى الحديث.

مات معاذ سنة ثماني عشرة بالشام في طاعون عمواس. استخلفه النبي ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم.

قوله: (كنت رديف النبي ﷺ) فيه جواز الإرداف على الدابة، وفضيلة معاذ رضي الله عنه.

قوله: (على حمار) في رواية اسمه عفير [١].

قلت: أهداه إليه المقوقس صاحب مصر. وفيه: تواضعه ﷺ لركوب الحمار والإرادف عليه، خلافًا لما عليه أهل الكبر.

قوله: «أتدري ما حق الله على العباد؟» أخرج السؤال بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم.

وحق الله على العباد: هو ما يستحقه عليهم.

وحق العباد على الله معناه: أنه متحقق لا محالة؛ لأنه وعدهم ذلك؛ جزاء لهم على توحيده ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦].

قال شيخ الإسلام: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقًا زائدًا على هذا، كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] لكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه الحق، ولم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة [٢] يدّعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: اسم الفرس والحمار، حديث (٢٨٥٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، حديث (٣٠).

(٢) هم أصحاب واصل بن عطاء، وسموا بذلك لاعتزالهم حلقة الحسن البصري بالمسجد، أو لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة، أو لاعتزالهم الأقوال السابقة المحدثة في مرتكب الكبيرة، وهي أقوال الخوارج والمرجئة، أو لقولهم: إن مرتكب الكبيرة اعتزل عن المؤمنين والكافرين، فهو عندهم ليس في منزلة المؤمنين فيدخل معهم الجنة، ولا في منزلة الكافرين فيستحق اسمهم، وإن كان يخلد في النار مثلهم. وسموا أيضًا «القدرية» لقولهم: إن الناس قادرون على خلق أفعالهم، وليس لله صنع ولا تقدير في خلق أفعال العباد. انظر: الفرق بين الفرق ص (١٣١).

الموجب، وغلطوا في ذلك.

وهذا الباب غلطت فيه الجبرية والقدرية [١] أتباع جهم [٢] والقدرية النافية [٣].

قوله (قلت: الله ورسوله أعلم) فيه حسن الأدب من المتعلم، وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلفين.

قوله: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» أي: يوحدوه بالعبادة. ولقد أحسن العلاّمة ابن القيم حيث عرّف العبادة بتعريف جامع فقال:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

قوله: «ولا يشركوا به شيئًا» أى يوحدوه بالعبادة، فلابد من التجرد من الشرك فى

---

(١) القدرية النفاة: أي نفاة القدر الذين هم مجوس هذه الأمة كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا وموقوفا، وهؤلاء ضلوا بالتفريط، وإنكار القدر وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسئوليته عنه، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته، لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسئولية العبد في فعله وهم للتكاليف فرجحوا جانب الأمر والنهي وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية فجعلوه خالقا مع الله، فكذلك هؤلاء العباد خالقين مع الله. انظر: شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس ص (١١٣).

(٢) هو: أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي، قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ: «الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئًا، ولكنه زرع شرًا عظيمًا، وقال الطبري عنه: كان كاتبًا للحارث بن سريج الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية». وكان جهم تلميذًا للجعد بن درهم الزنديق الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن. وكان جهم ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن وأن الله في الأمكنة كلها، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. انظر: تذكرة الحفاظ (١٥٨٤)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦).

(٣) وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا اختيار ولا فعل، كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى وصام وقتل وسرق كما يقال: طلعت الشمس وجرت الريح ونزل المطر حتى قال بعضهم قبحه الله:

ألقاه في اليم وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي ألا ساء ما يحكمون. انظر: شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس ص (١١٣).

العبادة، ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتيًا بعبادة الله وحده، بل هو مشرك قد جعل لله ندًّا، وهذا معنى قول المصنف رحمه الله: وفيه أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

وفي بعض الآثار الإلهية: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بالنعم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي [1].

قوله: «**وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**» قال الحافظ: اقتصر على نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذّب رسول الله ﷺ فقد كذَّب الله، ومن كذَّب الله فهو مشرك أو هو مثل قول القائل: من توضأ صحت صلاته، أي: مع سائر الشروط. انتهى.

قوله: (أفلا أبشر الناس؟) فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره، وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا. قاله المصنف رحمه الله تعالى.

قوله: «**لا تبشرهم فيتكلوا**» أي: يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال.

وفي رواية: فأخبر بها معاذ عند موته؛ تأثمًا أي: تحرجًا من الإثم. قال الوزير أبو المظفَّر [2]: لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة، فأما الأكياس الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة، ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم.

وفي الباب من الفوائد غير ما تقدم: الحث على إخلاص العبادة لله تعالى، وأنها لا تنفع مع الشرك، بل لا تُسمى عبادة، والتنبيه على عظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما، والتنبيه على عظمة الآيات المحكمات في سورة الأنعام، وجواز كتمان العلم للمصلحة.

قوله: (أخرجاه) أي: البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٩٣)، حديث (٩٧٤)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٣٤)، حديث (٤٥٦٣)، من طريق بقية حدثني صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير وشريح بن عبيد الحضرميان عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل... الحديث. وفي إسناده بقية بن الوليد أورد الذهبي في الضعفاء، وقال: يروى عن الكذابين ويدلسهم. وشريح بن عبيد ثقة لكنه مرسل. وانظر ضعيف الجامع (٤٠٤٨)، والضعيفة (٢٣٧١).

(٢) هو: يحيى بن محمد بن هبيرة، الإمام العالم العادل أبو المظفر العراقي الحنبلي صاحب التصانيف. فقيه محدث. كان دينًا خيرًا متعبدًا عاقلاً وقورًا متواضعًا، بارًّا بالعلماء. توفي سنة (٥٦٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٢٦).

والبخارى هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي مولاهم، الحافظ الكبير صاحب (الصحيح) و(التاريخ) و(الأدب المفرد) وغير ذلك من مصنفاته.

روى عن الإمام أحمد بن حنبل والحميدى وابن المديني وطبقتهم.

وروى عنه مسلم والنسائي والترمذي والفَربري راوي الصحيح. ولد سنة أربع وتسعين ومائة ومات سنة ست وخمسين ومائتين.

ومسلم هو ابن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القُشيرى النيسابورى صاحب (الصحيح) و(العلل) و(الوجدان) وغير ذلك. روى عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبى خيثمة وابن أبى شيبة وطبقتهم. وروى عن البخاري (صحيحه).

وروى عنه الترمذي وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي الصحيح وغيرهما.

ولد سنة أربع ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، رحمهما الله تعالى.